

**الفصل الثالث**  
**الأرض عنصر الاستيطان**

obeikandi.com

كانت أراضي فلسطين هدفاً أولياً للحركة الصهيونية، بوصفها القاعدة الرئيسية لعملية الاستيطان في فلسطين، ولذلك تم تشكيل المؤسسات اليهودية المتخصصة بامتلاك الأراضي الفلسطينية وتسجيلها كملكية عامة، وكان الممول الأول لذلك الوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودي. وعملياً فإنه حتى عام ١٨٥٥ لم يكن لليهود أية أملاك في المدن والقرى الفلسطينية، باستثناء مدينة القدس، والخليل، وصفد وطبريا، حيث بدأت عمليات امتلاك الأراضي في ذلك العام من قبل "موشى متفيورى" وهو ثرى يهودى، قام بشراء قطعة أرض هي عبارة عن بستان حمضيات مساحته ١٠٠<sup>(١)</sup> دونم<sup>(٢)</sup> قرب يافا، وبعدها تم شراء قطعة أرض بطرق مختلفة في "موزا" قرب القدس عام ١٨٥٩. وفي "مليس" التي أصبح اسمها بتاح تكفا عام ١٨٧٨، وفي عيون قارة ريشو ليشيون وزمارين زخرون يعقوب، والجاعونة روش بينا عام ١٨٨٢، وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى استطاعت الحركة الصهيونية امتلاك نحو ٤١٨<sup>(٣)</sup> ألف دونماً من أراضي فلسطين بطرق مختلفة.

وقد أدى الاستعمار البريطاني دوراً هاماً في نقل ملكية كبيرة من الأراضي الفلسطينية على حساب العرب الفلسطينيين، فمع صدور صك الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢٠، فإن الأراضي المسجلة باسم الدولة العثمانية، أعيد فتحها، مما أدى إلى بيع مساحة كبيرة منها لليهود، حيث تم شراء ٥٠٠ ألف دونماً، إضافة إلى ٢٠٠ ألف دونم دون مقابل<sup>(٤)</sup>، كذلك تمكن اليهود من شراء

---

(١) عبد الرحمن أبو عرفة، الاستيطان التطبيق العملى للصهيونية، المؤسسة العربية للدراسات

والنشر دار الجليل للنشر، عمان ١٩٨١ ص ١٠.

(٢) الدونم = ١٠٠٠ متر مربع.

(٣) المرجع نفسه ص ١٠.

(٤) المرجع نفسه ص ١٠.

مساحة (٦٢٥) ألف دونم من مرج "ابن عامر"، وكانت تضم (٢٢) قرية عربية اضطرت عائلاتها البالغ عددهم (٩٠٠) عائلة للرحيل عنها.

وضاعت أراضي امتياز في "الحولة" ومساحتها ١٦٥ ألف دونم، وأراضي وادي "الحوارث" ومساحتها ١٣٢ ألف دونم و٢٨ ألف دونم في كل من المدن التالية: صفد، الناصرة، عكا، بيسان، جنين، طولكرم، وتمكن اليهود من شراء ٣٠٠ ألف دونم، وحتى قرار التقسيم في عام ١٩٤٧، تمكن اليهود من امتلاك ١٤٢٥٠٠٠<sup>(١)</sup> دونماً من مساحة فلسطين، ومع تطور الكيان الصهيوني، تمكنت الحركة الصهيونية في إسرائيل من السيطرة على ٧٨٪ من مساحة فلسطين.

وهكذا فالتجمع الإسرائيلي الراهن تجمع مصنوع وحديث، لم ينشأ خلال حركة تطور تاريخي طبيعية تمت على أرضه، بل نشأ أساساً بقرار اتخذه المؤتمر الصهيوني الأول، استجابة لظروف سياسية واقتصادية وتاريخية معينة. أي أن هذا التجمع نشأ أولاً كصياغة فكرية، ثم بدأ أصحاب تلك الصياغة في اصطناعه تجسيداً لها. وهو بذلك يختلف تماماً عن غيره من المجتمعات الطبيعية التي تنشأ أولاً ثم تتعدد وتتغير الأبنية الفكرية التي تعكس بنيتها التحتية وفقاً لمراحل التطور التاريخي<sup>(٢)</sup>.

## الأرض في التوراة:

إن محاولة التوراة (العهد القديم) إبراز الحوادث التي وقعت لليهود وإظهار الشخصيات التي لها صلة بهم - على حد قولهم - قد جاء ليؤدى غرضاً سياسياً في محاولة لإظهار عراقية اليهود في المنطقة، وقدم وجودهم البشري ليدعم فكرة إنشاء كيان مستقل لهم يعتمد على جذور تاريخية خاصة بعد السبي البابلي، وقد

(١) المرجع نفسه ص ١١.

(٢) قدرى حفى، دراسة في الشخصية الإسرائيلية، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة

عين شمس. ص ٧١.

جاء تسجيل حوادث التوراة خدمة لمحاولة "قورش" (١) التي كانت تهدف إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين لحماية الحدود الغربية للإمبراطورية الفارسية من الهجمات البيزنطية، وقد أصدر قراره بعودة اليهود إلى فلسطين لبناء دولتهم فأعدوا مدونتهم التاريخية "التوراة" لتلعب دورها في هذا الاتجاه (٢).

ولا يوجد في الكتاب المقدس وجهة نظر واحدة ومتناسقة فيما يتعلق بمسألة الأرض، بل رؤى مختلفة وفقاً لكل فترة. فالنصوص تدعم الإيمان بالوعد الذي أعطاه الرب لإبراهيم وذريته لتملك أرض كنعان (٣)، والاعتقاد التام بأن استعمار

---

(١) يعتقد أنه ولد في الفترة بين عام ٦٠٠ و ٥٨٥ قبل الميلاد. وكان والده "قمييز" من أفراد عائلة "الآخمينيين" الحاكمة وتعود أقدم معلومات موثوقة حول "قورش" إلى سنة ٥٥٨ قبل الميلاد حين أصبح حاكماً لمنطقة "أنشان" الفارسية ليخلف والده عليها. قاد "قورش" بعد ذلك ببضع سنوات تمرداً على إمبراطورية "الميديين" الحاكمة، وتمكن من هزيمتهم بعد حرب لمدة ثلاث سنوات، وعاملهم برحمة وهو يضمهم إلى إمبراطوريته. كما تبنى "قورش" العديد من القوانين والإجراءات الإدارية التي وجدها عند الميديين.

(٢) ثريا منقوش (١٩٧٧). التوحيد في تطوره التاريخي. بيروت: دار الطليعة. ص ٥٥.

(٣) الكنعانيون قوم من العرب نزحوا إلى فلسطين من شبه الجزيرة العربية إثر الجفاف الذي حل بها، وذلك في حوالي ٢٥٠٠ ق.م. وهم أقدم الشعوب السامية التي سكنت فلسطين. ومنهم أخذت فلسطين اسمها فصارت تعرف باسم أرض كنعان. وقد اختيرت مدينة "نابلس" عاصمة بلاد "كنعان" لموقعها المتوسط من فلسطين.

وقد سكن الكنعانيون فلسطين قبل ميلاد المسيح بحوالي ٢٥٠٠ عام، وقبل دخول "العبرانيين" إليها حوالي ١١٨٩ ق.م. وفي التوراة نصوص تدل على أن فلسطين كانت أهلة بالكنعانيين عندما دخلها العبرانيون. وقد بنى اليوسيون، وهم بطن من الكنعانيين أسلاف العرب الساميين مدينة "القدس" وسموها "أور- سالم"، أي مدينة السلام. وبقيت سيادة الكنعانيين في فلسطين بين حوالي ٢٥٠٠ - ١٠٠٠ ق.م. وفي أثناء هذه السيادة، هاجر إبراهيم الخليل من العراق إلى الشام واستقر في شكيم (نابلس) ثم انتقل إلى بئر السبع في أقصى جنوب فلسطين حيث ولد له اسماعيل، ثم نزح إلى مكة وعاد منها إلى فلسطين حيث رزق بولده الثاني إسحاق. (الموسوعة العربية العالمية، ٢٥: ٢٣٤).

هذه الأرض ما هو إلا تطبيق لإرادته<sup>(١)</sup>، تقرأ ذلك في سفر التكوين:

٦ "وَأَجْتَازَ آبْرَامُ فِي الْأَرْضِ إِلَى مَكَانٍ شَكِيمَ إِلَى بَلْوْطَةَ مُورَةَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حَيْثُذِي فِي الْأَرْضِ. ٧ وَظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضُ»<sup>(٢)</sup>.

ثم ذهب أبرام إلى مصر بسبب المجاعة: "وَحَدَّثَ جُوعٌ فِي الْأَرْضِ، فَأَنْحَدَرَ آبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، لِأَنَّ الْجُوعَ فِي الْأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا"<sup>(٣)</sup> وبعد خروجه من مصر رجع إلى بيت إيل، حيث كانت الأرض صغيرة لا تكفي لوجود إبراهيم ولوط عليهما السلام، حتى إن نزاعاً كان بينهما، وهو ما يؤكد النص التالي: "٥ وَكَلُوطُ السَّائِرُ مَعَ آبْرَامَ، كَانَ لَهُ أَيْضًا غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخِيَامٌ. ٦ وَكَلِمٌ تَحْتَمِلُهُمَا الْأَرْضُ أَنْ يَسْكُنَا مَعًا، إِذْ كَانَتْ أَمْلَاكُهُمَا كَثِيرَةً، فَلَمْ يَقْدِرَا أَنْ يَسْكُنَا مَعًا. ٧ فَحَدَّثَتْ مُخَاصِمَةً بَيْنَ رِعَاةِ مَوَاشِي آبْرَامَ وَرِعَاةِ مَوَاشِي لُوطَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفَرِزِيُّونَ حَيْثُذِي سَاكِنِينَ فِي الْأَرْضِ. ٨ فَقَالَ آبْرَامُ لِلُّوطِ: «لَا تَكُنْ مُخَاصِمَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ رِعَاتِي وَرِعَاتِكَ، لِأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَانُ. ٩ أَلَيْسَتْ كُلُّ الْأَرْضِ أَمَامَكَ؟ اعْتَزِلْ عَنِّي. إِنْ ذَهَبَتْ شِمَالًا فَآنَا يَمِينًا، وَإِنْ يَمِينًا فَآنَا شِمَالًا»<sup>(٤)</sup>.

وبعد هذا التقسيم استقر إبرام (إبراهيم) في أرض كنعان، وقال له الرب:

"ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَأَنْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالًا وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، ١٥ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَكِنَسْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ. ١٦ وَأَجْعَلْ نَسْلَكَ كَثْرَابِ الْأَرْضِ، حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يُعَدَّ تَرَابَ الْأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ. ١٧ قُمْ أَمْشِ فِي الْأَرْضِ طَوْلَهَا وَعَرَضَهَا، لِأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا"<sup>(٥)</sup>.

(١) الكتاب المقدس والاستعمار، مايكل بريور، ترجمة وفاء بجاوى، ص ٢٤ .

(٢) سفر التكوين ١٢ : ٦ - ٧ .

(٣) سفر التكوين ١٢ : ١٠ .

(٤) سفر التكوين ١٢ : ٥ - ٦ .

(٥) سفر التكوين ١٣ : ١٤ - ١٧ .

هذا في الوقت الذي كان الكنعانيون يسكنون الأرض، ولا يكتفى الرب بذلك بل كان الوعد الإلهي والمواثيق مع "إبرام" بمساحات أخرى من الأرض حتى ولو كانت مسكونة بأهلها: " ١٨ في ذلك اليوم قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ اِبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا: «لَسْنَاكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ. ١٩ الْقَيْنِيِّينَ وَالْقَنْزِيِّينَ وَالْقَدْمُونِيِّينَ ٢٠ وَالْحَثِيِّينَ وَالْفَرِزِيِّينَ وَالرَّفَائِيِّينَ ٢١ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ» (١).

ويؤكد سفر التكوين غربة اليهود منذ البدايات وعدم أحقيتهم شبر واحد في فلسطين، وذلك من خلال الوعد الإلهي لإبراهيم، حيث السكان الأصليين للأرض وهم الكنعانيون: " ٧ وَأَقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لِأَكُونَ إِلَهًا لَكَ وَلَسْنَاكَ مِنْ بَعْدِكَ. ٨ وَأُعْطِيَ لَكَ وَلَسْنَاكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَآكُونَ إِلَهُهُمْ" (٢) ثم كان النص الصريح بأن السكان الأصليين هم الفلسطينيين: " ٣٤ وَتَغَرَّبَ اِبْرَاهِيمُ فِي أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَيَّامًا كَثِيرَةً" (٣).

وينبها سفر الخروج إلى غربة اليهود عن الأرض وأنهم وافدون على سكانها الأصليين فيقول: " أَنَا الرَّبُّ. ٣ وَأَنَا ظَهَرْتُ لِاِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِأَنِّي إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَأَمَّا بِاسْمِي «يَهُوه» فَلَمْ أَعْرِفْ عِنْدَهُمْ. ٤ وَأَيْضًا أَقَمْتُ مَعَهُمْ عَهْدِي: أَنْ أُعْطِيَهُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ أَرْضَ غُرْبَتِهِمُ الَّتِي تَغَرَّبُوا فِيهَا" (٤).

وعندما استقر الإسرائيليون في أرض كنعان صدرت الأوامر بعدم احترام المواثيق والمعاهدات: " ١٢ احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ

(١) سفر التكوين ١٥ : ١٨ - ٢١ .

(٢) سفر التكوين ١٧ : ٧ - ٨ .

(٣) سفر التكوين ٢١ : ٣٤ .

(٤) سفر الخروج ٦ : ٢ - ٤ .

آت إِلَيْهَا لثَلَا يَصِيرُوا فَخًّا فِي وَسْطِكَ، ١٣ بَلْ تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكْسِرُونَ  
أَنْصَابَهُمْ، وَتَقْطَعُونَ سَوَارِيَهُمْ» (١).

بل تؤكد النصوص أن الأرض لم يكن بها أحد من بني إسرائيل، فتجد في  
سفر القضاة أن غلاماً يتحدث إلى سيده فيقول: "قَالَ الْغُلَامُ لِسَيِّدِهِ: «تَعَالَ نَمِيلُ  
إِلَى مَدِينَةِ الْيَبُوسِيِّينَ هَذِهِ وَتَبَيْتُ فِيهَا». ١٢ فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: «لَا نَمِيلُ إِلَى مَدِينَةٍ  
غَرِيبَةٍ حَيْثُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ هُنَا» (٢).

ثم كانت طقوس الاحتفال بعيد الفصح، وما هي إلا طقوس الاحتفال  
بالاستقرار في فلسطين: "١٨ تَحْفَظُ عِيدَ الْفَطِيرِ. سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَأْكُلُ فَطِيرًا كَمَا أَمَرْتِكَ  
فِي وَقْتِ شَهْرِ أَبِيبَ، لِأَنَّكَ فِي شَهْرِ أَبِيبَ خَرَجْتَ مِنْ مِصْرَ» (٣).

وثمة ملاحظة يجب الانتباه إليها وهي عندما وعد الله إبراهيم بالأرض من  
النيل للفرات - حسب الرواية التوراتية - كان هذا الوعد لإبراهيم قبل مولد  
اسماعيل وإسحاق عليهما السلام، أى أن هذا الوعد بالأرض للعرب أيضاً وليس  
لليهود وحدهم. فعندما قال الرب لإبراهيم: "لنسلك أعطى هذه الأرض" فإن  
كلمة "نسلك" تشمل العرب أيضاً من ذرية إبراهيم من أبناء اسماعيل عليهما  
السلام، إلا أنه في عهد إسحق ويعقوب ضاق معنى الوعد بحيث شمل نسلهم  
فقط دون أن يحرم إخوانهم أبناء اسماعيل بشكل صريح من هذا الحق، كما أن  
الرغد بالأراضي الممتدة من النيل للفرات أعطى قبل مولد كل من اسماعيل  
وإسحق - عليهما السلام - وهذا يعنى أن تلك الأرض ليست خالصة للإسرائيليين  
وحدهم.

وما صرحت به التوراة من كون اليهود غرباء في أرض فلسطين أكدته وأثبتته  
الوثائق الصحيحة والمكتشفات الأثرية، يقول الخبراء: إن اليهود غرباء عن أرض

(١) سفر الخروج ٣٤: ١٢ - ١٤ .

(٢) سفر القضاة ١٩: ١١ - ١٢ .

(٣) سفر الخروج ٣٤: ١٨ .

فلسطين، وما كان عندهم من المقومات الثقافية بما فيها اللغة إنما هو مقتبس من الحضارات التي سبقتهم كالحضارة الكنعانية والآرامية وهما من أصل عربي، كما أثبتت الوثائق التاريخية أن مملكة داود وسليمان - عليهما السلام - التي قامت في القرن العاشر قبل الميلاد إنما قامت على تراث كنعاني عربي نشأ قبل اليهودية بعدة قرون<sup>(١)</sup>.

ويجمع المؤرخون على أن اليوسيين أحد أفرع الكنعانيين العرب هم من أسس مدينة القدس، وكان بناء تلك المدينة في حوالى الألف الثالث قبل الميلاد، وقد عرفت المدينة أول ما عرفت باسم "سالم" وكان أول ذكر لها في النصوص المصرية القديمة في القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، كما ورد ذكرها في رسائل تل العمارنة<sup>(٢)</sup> في القرن الرابع عشر قبل الميلاد باسم "يورو - سالم" وقد نشأت كمدينة مقدسة أقام بها الكنعانيون العرب بيتاً للعبادة يذكر فيها اسم الله إذ كانوا يعتقدون في وحدانية الله، واستمرت هذه صفة المدينة مع توالى الرسائل السماوية وانتقال أهل القدس من الديانة الكنعانية إلى اعتناق الأديان السماوية الثلاث: اليهودية فالمسيحية فالإسلام.

لقد أطلق على القبائل التي استقرت في الساحل الشمالى من البحر المتوسط اسم الفينيقيين لاشتغالهم باستخراج وتجارة الفينيكس، وقد أطلق على الكنعانيين الذين استقروا بجنوب وسط أرض كنعان - منطقة القدس اليوم - اسم اليوسيين،

---

(١) أحمد سوسة (١٩٨١). مفصل العرب واليهود فى التاريخ. (ط٥). بغداد: دار الحرية للطباعة. ص ٢٢٥.

(٢) اكتشفت هذه الرسائل فى عام ١٨٨٧م فى قرية تل العمارنة بمنطقة أواسط مصر، وهى الرسائل التى بعث بها أمراء سريون إلى الفرعون أمنحوتب الثالث وابنه أخناتون يطلبون منه النجدة العسكرية ضد أعدائهم وأعداء مصر، وبلغ عدد هذه الرسائل ٣٧٧ رسالة. (عبله المهتدى، القدس تاريخ وحضارة، ص ٦٨).

وعلى الذين سكنوا أقصى جنوب أرض كنعان اسم العنانيين، وهؤلاء هم الذين أقاموا مدينة أربيع التي عرفت باسم حبرن<sup>(١)</sup>.

فالقدس عربية منذ نشأتها، واليهود لم يكونوا أصلاً من أهل القدس، وإنما هم وافدون عليها، حيث كان بها سكان أصليون يتألفون من الكنعانيين الفلسطينيين العرب. وإذا كانت أرض فلسطين ملكاً للكنعانيين والفلسطينيين قبل قدوم العبرانيين إليها فلماذا أعطى الرب هذه الأرض لبني إسرائيل، وحكم على أهلها الأصليين بالفناء؟ هل لأن أهلها الأصليين كانوا كفاراً وثنيين؟ هل نسيتم أن حقائق التاريخ والتوراة تشهد بذلك أن بني إسرائيل نقضوا الميثاق مع الله وخالفوا أوامره ومالوا عن عبادته؟ فلماذا يستمر الوعد الإلهي بتمليك أرض فلسطين لهم؟ وما زال اليهود اليوم على أخلاق السابقين من الانحراف عن شريعة الله ونبذ العهد والميثاق. هل لأنه شعب مقدس كما نطق بذلك سفر التثنية: «لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض»<sup>(٢)</sup>.

أم لأنهم شعب الله المختار وأن الكنعانيين شعب وضيع بحسب النشأة الأولى، قد خلقه الله ليكون رقيقاً للإسرائيليين، حيث كانوا يعتقدون أن هذا الوضع قد نشأ من الدعوة التي دعاها نوح على ابنه حام ونسله، كما ورد في سفر التكوين: «٢٠ وأبتدأ نوح يكون فلاحاً وعرساً كرماً. ٢١ وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. ٢٢ فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجاً. ٢٣ فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى وراء، وستراً عورة أبيهما ووجهاهما إلى وراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. ٢٤ فلما استيقظ نوح من خمره، علم ما فعل به ابنه الصغير، ٢٥ فقال: «ملعون كنعان! عبد العبيد يكون

(١) محمد أديب العامري (١٩٧٢). عروبة فلسطين في التاريخ. بيروت: المكتبة العصرية.

ص ٢٥.

(٢) سفر التثنية ٧: ٦.

لِإِخْوَتِهِ». ٢٦ وَقَالَ: «مُبَارَكُ الرَّبِّ إِلَهُ سَامَ. وَلَيْكُنْ كَنَعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. ٢٧ لِيَفْتَحَ اللَّهُ لِيَاقَانَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِينِ سَامَ، وَلَيْكُنْ كَنَعَانُ عَبْدًا لَهُمْ» (١).

فهم يزعمون أنهم شعب الله المختار إلى الأبد، وأن هذا الاختيار قائم على حسن حسبهم ونسبهم ولا علاقة له بالإيمان والعمل، فقد جاء في سفر التكوين: ٢١ «وَلَكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ» (٢).

ويعتبرون هذا العهد والاصطفاء ماضيًا فيهم إلى قيام الساعة. ففي نص آخر يقول: «وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ» (٣).

بل رأوا أن الاستيطان تطبيق للتوراة مثلما كان غزو يشوع استمرارًا لتعاليم موسى ورسالته على الأرض، ورأوا أن كل استيطان جديد شهادة جديدة على اختيار الله لشعب إسرائيل وصدق التوراة وكلمة الرب وأنبيائه: ٣٣ «هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: فِي يَوْمِ تَطْهِيرِي إِيَّاكُمْ مِنْ كُلِّ آثَامِكُمْ، أُسْكِنُكُمْ فِي الْمُدُنِ، فَتُبْنِي الْخَرْبَ. ٣٤ وَتَفْلِحُ الْأَرْضُ الْخَرِبَةُ عَوَضًا عَنْ كَوْنِهَا خَرِبَةً أَمَامَ عَيْنِي كُلِّ عَابِرٍ. ٣٥ فَيَقُولُونَ: هَذِهِ الْأَرْضُ الْخَرِبَةُ صَارَتْ كَجَنَّةِ عَدْنِ، وَالْمُدُنُ الْخَرِبَةُ وَالْمُقْفَرَةُ وَالْمُنْهَدِمَةُ مُحَصَّنَةٌ مَعْمُورَةٌ. ٣٦ فَتَعْلَمُ الْأُمَمُ الَّذِينَ تَرَكُوا حَوْلَكُمْ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، بَنَيْتُ الْمُنْهَدِمَةَ وَغَرَسْتُ الْمُقْفَرَةَ. أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ وَسَافَعْتُ» (٤).

ومن تأمل الآيات القرآنية وتأمل النصوص التوراتية يقف على حقيقة هامة، وهي أن هذا الاختيار والتفضيل مقيدًا مشروطًا. . . فهو لا يتحقق إلا بتحقيق شرطه وهو الإيمان بالله وطاعته والوقوف عند أمره ونهيه، أي حفظ عهد الله الذي

(١) سفر التكوين ٩ : ٢٠ - ٢٧ .

(٢) تكوين ١٧ : ٢١ .

(٣) تكوين ١٧ : ١٩ .

(٤) سفر حزقيال ٣٦ : ٣٣ - ٣٦ .

عاهدهم به ورعاية ميثاقه الذى واثقهم به، فإن فعلوا ذلك كانوا شعباً مختاراً مفضلاً، وإن لم يفعلوا فليس ثمة اصطفاء لهم أو تفضيل.

جاء فى سفر الخروج فى كلام موجه من الرب لموسى: "هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي يَاقُوبَ، وَتُخَبِّرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ٤ أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنَحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَى ٥. فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِمِصْرِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ" (١)، كما جاء فى سفر التثنية: ١٣ "وَيَجْعَلُكَ الرَّبُّ رَأْسًا لَدُنِّي، وَتَكُونُ فِي الارتفاعِ فَقَطُ وَلَا تَكُونُ فِي الانْحِطَاطِ، إِذَا سَمِعْتَ لِمِصْرِي الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، لِتَحْفَظَ وَتَعْمَلَ ١٤ وَلَا تَزِيغَ عَنْ جَمِيعِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا، لِكَيْ تَذْهَبَ وَرَاءَ إِلَهَةٍ أُخْرَى لِتَعْبُدَهَا" (٢).

ويؤكد القرآن الكريم فى آيات كثيرة أن الله تعالى قد عاهد بنى إسرائيل وواثقهم، قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (٤٠) ﴿ (٣)، ويقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ... ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٨٣) ﴿ (٤).

وقد رد القرآن الكريم عليهم دعواهم أنهم أرقى الأمم بقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا... ﴾ (٥) ﴿ (٥).

### فهل حفظ بنو إسرائيل العهد والتزموا بالميثاق؟؟

القاعدة أن ما صدقه القرآن مما جاء فى الكتب السابقة صدقناه، وما كذبه كذبناه وما سكت عنه سكتنا عنه فلا نصدق به ولا نكذب، ولقد جاء فى فتح

(١) الخروج ١٩: ٣ - ٥ .

(٢) تثنية ٢٨: ١٣ - ١٤ .

(٣) سورة البقرة: ٤٠ .

(٤) سورة البقرة: ٨٣ .

(٥) سورة الجمعة: ٥ .

البارى فى شرح قوله - ﷺ - : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " أى : إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لثلا يكون فى نفس الأمر صدقاً فتكذبوه أو كذباً فتصدقوه فتقعوا فى الحرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بخلافه .

والحق أن آيات القرآن الكريم تتفق مع نصوص التوراة الحالية فى هذه النقطة مما يؤكد أن ما ورد فى أسفار التوراة الحالية حول هذه المسألة أنهم لم يحفظوا ، بل فرطوا وضيعوا فخرسوا بذلك حقهم فى الاصطفاء .

فما من سفر من أسفارهم إلا يزخر بعبارات السخط والغضب التى صيها الله على بنى إسرائيل فى كل عهدهم منذ أن أخرجهم الله من مصر إلى أن أهلكهم بظلمهم وقضى بخراب بلادهم . جاء فى سفر الخروج : ٩ " وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى : «رَأَيْتُ هَذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صَلْبُ الرِّقَبَةِ . ١٠ . قَالَ لَأَنْ أَتْرُكُنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأَفْنِيَهُمْ» (١) .

ويقول تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيُعَذِّبُنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ... ﴾ (١٦٧) (٢) .

ويؤكد ذلك ما جاء فى مجلة البيان فى عددها الصادر فى ربيع الآخر ١٤٢٣ هـ : " أعلن السيد عبد العزيز الرنتيس المتحدث باسم حركة المقاومة الفلسطينية حماس ، أن ما يقرب من مليون إسرائيلى هربوا من فلسطين المحتلة بسبب العمليات الإستهادية التى تريد السلطة الفلسطينية إيقافها . وقال الرنتيس فى حديث مع التلفزيون المصرى : إن عدداً كبيراً من رؤوس الأموال الإسرائيلية سحبت من إسرائيل وأن الشلل قد أصاب الحياة داخل إسرائيل وكذلك أصيبت السياحة بأضرار بالغة بسبب تلك العمليات " .

(١) الخروج ٣٢ : ٩ - ١٠ .

(٢) الأعراف : ١٦٧ .

لقد قام بنو إسرائيل الأوائل بعالمية الدعوة إلى الأمم فأسلمت ملكة سبأ مع سليمان لله رب العالمين . وآمن أهل نينوى فى العراق برسالة يونس عليه السلام وهو من أنبياء أورشليم . يقول تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ... ﴾ (١٦٩) (١) .

" ثم أن شرذمة منهم جرؤت على كتاب الله فأعادوا كتابته وبدلوه ولبسوا الحق بالباطل ، حتى تكون التوراة شريعة لهم وحدهم مستبعبدين الأمم من الدخول فى دينهم ليحافظوا على كيانهم أبد الدهر . وقد اعترف أنبيأؤهم بذلك التحريف المتعمد فقد كتب أرمياء فى سفره (قد حرفتم كلام الإله الحى) (٢) .

لقد تعرض اليهود إلى حملة إبادة منذ أن سلط عليهم القائد الرومانى " طيطس " عام ٧٠م وقام بحرق المدينة المقدسة ، ولم يبق فيها حجر على حجر ، وقتل منهم عشرات الألوف ، وحظر على الباقين دخول القدس ، مما اضطرهم إلى الفرار إلى مصر والجزيرة العربية وغيرها (٣) .

ثم سلط عليهم طاغية آخر هو " أدريانوس " الذى أزاح المدينة المقدسة سنة ١٣٥م وحرث الأرض حرثاً ليقيم مكان الأنقاض معبداً وثنياً سماه " جوبيتار " على اسم رب الآلهة عند الرومان الوثنيين ، ومن ذلك الوقت وليس لليهود أثر أو أى قيمة تاريخية تذكر فى فلسطين . ومن ذلك التاريخ وإلى منتصف القرن العشرين ١٩٤٨ وبذلك تسقط القيمة العلمية أو التاريخية لحق اليهود فى فلسطين .

---

(١) الأعراف : ١٦٩ .

(٢) أرمياء ٢٣ : ١٥ .

(٣) ديورانت ، قصة الحضارة ، ج ٣ ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٣ .

## مراحل الاستيطان:

المرحلة الأولى: وتمتد ما بين عامى ١٨٤٠ و ١٨٨٢، وذلك مع خروج محمد على باشا وابنه إبراهيم باشا من فلسطين وعودة فلسطين للسلطة العثمانية وأنشئ خلال تلك الفترة ست مستوطنات إسرائيلية<sup>(١)</sup>.

المرحلة الثانية: وتمتد خلال عامى ١٨٨٢ و ١٩٢٠، إذ وصل عدد المستوطنات حتى نهاية عام ١٩٢٠ إلى ٤٤ مستوطنة، أقيم ١٦ منها على طول الخط الحديدى بين يافا والقدس و٤ مستوطنات على نهر العوجا الذى يصب شمال يافا، وأربع وعشرون مستوطنة فى الجليل والسهل الساحلى.

المرحلة الثالثة: وتمتد بين عامى ١٩٢٠ وحتى أيار ١٩٤٨، وخلال تلك الفترة كان الدعم غير محدود، من قبل سلطات الانتداب البريطانى، لجهة إيجاد وقائع استيطانية يهودية فى فلسطين، فوصل عدد المستوطنات فى فلسطين إلى ١١٠ مستوطنات فى عام ١٩٢٧، ارتفع المجموع نتيجة النشاط الاستيطانى الصهيونى الكثيف ليصل إلى ٢٩١ مستوطنة زراعية حتى عام ١٩٤٨.

المرحلة الرابعة: وتمتد خلال الفترة ١٩٤٨ - ١٩٦٧، وقد استطاعت السلطات الصهيونية حتى عام ١٩٦٧ إقامة ٤١٩ مستوطنة يهودية، وقد اعتمد الكيان الصهيونى فى تخطيطه لإقامة المستوطنات خلال الفترة المذكورة على عامل السياج الأمنى والاقتصادى معاً، وقد رافق إنشاء المستوطنات جذب مزيد من يهود العالم إلى فلسطين عبر تهيئة ظروف للهجرة الطاردة من دول المنشأ باتجاه فلسطين.

المرحلة الخامسة: وتمتد هذه المرحلة بين السنوات ١٩٦٧ - ٢٠٠١، ففى الخامس من حزيران ١٩٦٧، احتل الجيش الصهيونى باقى الأراضى الفلسطينية، وقد شرعت قوات الاحتلال فى بناء المستوطنات من أجل إقامة سياج أمنى، وحتى يستحيل التواصل الجغرافى والديموغرافى بين مدن الضفة<sup>(٢)</sup>.

(١) مجلة شئون فلسطينية، عدد ١٠٣، ص ١٢٥، ١٩٨٠.

(٢) فلسطين أرض وشعب، نبيل محمود السهلى، اتحاد الكتاب العرب (د.ت).

وقد كشفت خريطة الاستيطان فى فترة حكم حزب العمل (١٩٦٧ - ١٩٧٧) أنه قد تم إقامة (٥٨) مستوطنة، منها (٥٣) مستوطنة فى الضفة الفلسطينية، وقد استوعبت خلال تلك الفترة ٨٢ ألف مستوطن يهودى، منهم ٧٥ ألفاً فى القدس، و ٦٥٠٠ فى باقى مستوطنات الضفة، و(٥٠٠) مستوطن يهودى فى قطاع غزة<sup>(١)</sup>.

وخلال فترة حكم الليكود (١٩٧٧ - ١٩٨٤) تم إنشاء مدن يهودية كبيرة، وتوسيع المستوطنات، كما عمد إلى تكثيف الاستيطان الزراعى على طول نهر الأردن فى منطقة الغور، وإلى شق طرق مواصلات كثيفة للاتصال بين المستوطنات، وخطط لليكود لإنشاء (١١٨) مستوطنة منها (١٠٥) مستوطنات فى الضفة الفلسطينية، بما فيها مستوطنات داخل حدود بلدية القدس، التى كان للاستيطان فيها مركزية مشاريع الاستيطان، كما خطط لإنشاء المستوطنات الباقية (١٣) مستوطنة فى قطاع غزة، وعمل الليكود خلال فترة حكمه لرفع مجموع المستوطنين من (٦٥٠٠) مستوطن عام ١٩٧٧ إلى ٨٥ ألف مستوطن عام ١٩٨٤ بلغ عدد المستوطنات القائمة (١٧٩) مستوطنة فى الضفة وقطاع غزة والشطر الشرقى من القدس حتى التاريخ المذكور.

وفى فترة حكم "نتياهو"<sup>(٢)</sup> كشف النقاب عن مخططات استيطانية إسرائيلية، تستهدف زيادة عدد المستوطنين اليهود فى الأراضى العربية المحتلة إلى ٥٠٠ ألف مستوطن، أى ثلاثة أضعاف عددهم فى العام المذكور حتى العام ٢٠٠٠، كما تستهدف المخططات الاستيطانية الإسرائيلية زيادة مجموع المستوطنين اليهود فى هضبة الجولان السورية المحتلة إلى ٢٥ ألف مستوطن خلال الفترة نفسها.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) صاحب فكرة شبكة الأنفاق تحت الأقصى.

ومع مجيء الإرهابى "شارون" إلى الحكم فى إسرائيل إثر الانتخابات التى جرت فى ٢٠٠١، فإن البنية التحتية والمخططات الاستيطانية باتت جاهزة لمزيد من النشاط الاستيطانى الذى ركز عليه "شارون" فى حملته الانتخابية، فكل فترة يحكم فيها العمل أو الليكود تؤسس لنشاط استيطانى قادم، من خلال المخططات الاستيطانية وبنود الإنفاق عليها من الموازنة الإسرائيلية السنوية، ومن المؤكد أن شارون سعى إلى تكثيف الاستيطان فى القدس لأسباب سياسية معروفة.

وكل قطعة أرض يتم الاستيلاء عليها لا يجب على اليهود أن يفرطوا فيها، ومن يفعل ذلك يجب قتله، وفى أثناء انعقاد اجتماع سبق اغتيال "رايين" كان زعيم الليكود "بنيامين نتانياهو" يقف على المنصة أمام تجمع المعارضين لرايين، الذى وصفوه بأنه "هتلر"، وهتفوا صارخين: رايين خائن. وأكد العديد من الحاخامات مثل: "موشيه تندلر" و"أبراهام هيشت" من نيويورك أنه لن يتم التخلّى عن بوصة واحدة من الأراضى التى تم احتلالها، وأضاف "هيشت" إن أى زعيم يهودى يسلم الأرض اليهودية يجب قتله<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) مايكل بريور (٢٠٠٦). الكتاب المقدس والاستعمار. ص ١٨٥.